سرّ الصناعة في قصة موسى (عليه السلام)

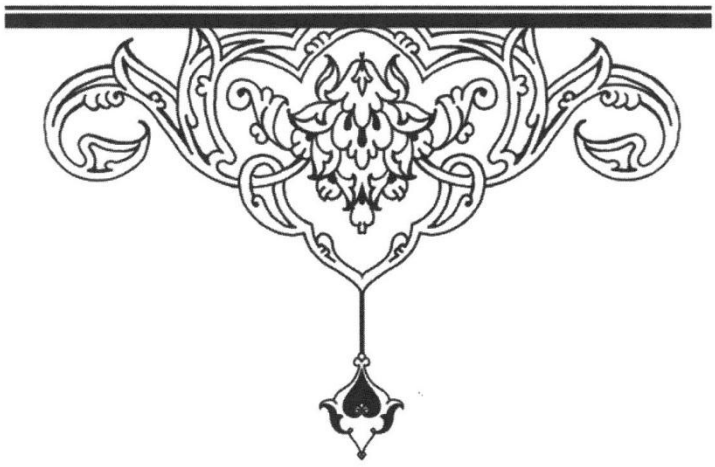

الدكتورة فردوس هاشم العلوي
الجامعة الاسلامية/النجف الأشرف
كلية العلوم الإسلامية/ قسم الدراسات القرآنية واللغوية

سرّ الصناعة في قصة موسى (عليه السلام)

الدكتورة فردوس هاشم العلوي
الجامعة الاسلامية/النجف الأشرف
كلية العلوم الإسلامية/ قسم الدراسات القرآنية واللغوية
Firdawsalalawi٢٠٦٨@yahoo.com

المقدمة

الحمد لله الذي أتقن كلّ شيء صنعه، وصلّى الله على خير خلقه المصطفى للنبوّة، المختار للرسالة وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعد...

فإن صناعة الخالق لا يشوبها نقص، ولا نظير لها في الدقّة والاتقان، وأنّ اختياره لا يعلو عليه اختيار، واصطفاءه نعم الاصطفاء، إذ لا تخلو هذه المسألة من سرّ في جودة الصناعة، والا سيما صناعة الانبياء(عليهم السلام)، واصطفائهم لهذا المنصب الإلهي الذي لا يصل اليه إلا من أتى الله بقلب سليم. ولعلّ هذا ما دعاني لكتابة بحثي الموسوم(سرّ الصناعة في قصّة موسى(عليه السلام))، فكان البحث على مقدّمة وتمهيد اشتمل على تعريف السرّ والصناعة لغةً واصطلاحاً، ومفهوم سرّ الصناعة كمركب اضافي.، والفرق بين الصناعة والاصطفاء.

وثلاثة مباحث، المبحث الأول بعنوان: (الحس والعقل في معنى الصناعة)، إذ بيّن الموارد التي ذكرت فيها الصناعة حسياً وعقلياً، وبيان التوافق والاختلاف في الدلالات النابعة منها.

أما المبحث الثاني فقد كان بعنوان: (موارد التلازم في مفهوم الصناعة)، إذ تضمّن الموارد التي تتلازم فيها الصناعة مع الدلالات الأخرى لتصل إلى سرّ الصناعة، ومنها:

١. تلازمية الصناعة والإخلاص.

٢. تلازمية الصناعة والمنّ.

وكان المبحث الثالث بعنوان(الفرق بين الصناعة والاصطفاء). والذي تضمّن تطبيقات في الفرق بين الاصطفاء والاختيار والاجتباء ، وبيان دلالاتها في سياق الآيات والسور، وبيان مواطن الاختلاف ودقّة الاختيار.

أضف إلى ذلك تضمّن البحث قائمة بنتائج البحث، وقائمة بأسماء المصادر والمراجع، ولعلّ أهمّها كتب التفسير التي لا يخلو بحث قرآني منها، مثل التبيان في تفسر القرآن للطوسي، ومجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي، والميزان في تفسير القرآن للطباطبائي، إضافة إلى معاجم اللغة وكتب التأريخ والسيرة وقصص الأنبياء.

وأخيراً أسأل الباري جلّ وعلا أن يجعل هذا البحث في ميزان حسناتي، ويمنّ عليّ بالأمن يوم لا ينفع مال ولا بنون، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

الباحثة

التمهيد

١. تعريف الصنع لغة واصطلاحا.

سرر : السِّرُّ : من الأَسْرار التي تكتم ، والسرّ : ما أَخْفَيْتَ ، والجمع أَسرار، ورجل سِرِّيٌّ : يصنع الأَشياءَ سِرّاً من قوم سِرِّيِّين ، والسرِيرةُ : كالسِّرِّ ، والجمع السرائرُ، والسرُّ ما أَسْرَرْتَ به، والسريرةُ : عمل السر من خير أَو شر، وأَسَرَّ الشيء : كتمه وأَظهره ، وهو من الأَضداد ، سرَرْتُه : كتمته ، وسررته : أَعْلَنْته ، والوجهان جميعاً يفسران في قوله تعالى : وأَسرُّوا الندامةَ ؛ قيل : أَظهروها ، وقال ثعلب : معناه أَسروها من رؤسائهم ؛ قال ابن سيده : والأَوّل أَصح .[١]

والسرّ (بكسر السين، والجمع أسرار، ما يكتمه الانسان في نفسه).[٢]

والصناعة : في معاجم اللغة من صنع يصنع صنعاً، وما أحسن صنع الله عنده وصنيعه.

والصناع : الذين يعملون بأيديهم ، تقول : صنعته فهو صناعتي ،

والصنيعة : ما اصطنعت من خير إلى غيرك ، وفلان صنيعتي ، أي : اصطنعته وخرجته .[٣]

والصَّناعةُ : حِرْفةُ الصانع ، وعَمَلُه الصَّنْعةُ، أو هي : ما تَسْتَصْنعُ من أَمْرٍ، والاصطناع :افتعالٌ من الصنيعة وهي العَطِيّةُ والكرامة والإِحسان[٤].

أو هي: ما تَسْتَصْنعُ من أَمْرٍ ؛ ورجلٌ صَنَعُ اليدِ وصَنَاعُ اليدِ من قوم صَنَعَى الأَيْدِي وصُنُعٍ وصُنْع.[٥]

وقال الراغب : (الفرق بين الصنع والفعل والعمل ان الصنع إنّما يكون من الإنسان دون الحيوان ،ولا يقال الا لما كان بإجادة، والصنع قد يكون بلا فكر لشرف فاعله، والفعل قد يكون بلا فكر لنقص فاعله، والعمل لا يكون إلا بفكر لتوسط فاعله، والصنع أخص الثلاثة والعمل أوسطها

والفعل أعمّها وكل صنع عمل، ولا عكس وكل عمل فعل ولا عكس).[٦]

يبدو من خلال ما تقدّم أن الصناعة الإلهية هي الرعاية والعناية والدقّة والإتقان، مع وجود المصنوع في حضرة الصانع وشموله برعايته وعطفه وإكرامه .

والصنع يستلزم إجادة الفعل، فكل صنع فعل وليس كلّ فعلٍ صنعاً، ولا ينسب إلى الحيوانات والجمادات كما ينسب إليها الفعل [٧]، قال تعالى: (صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ).[٨]

وتستعمل الصناعة للإجادة يقال للحاذق المجيد صنع وللحاذقة المجيدة صَناع، والصنيعة ما اصطنعته من خير، وفرس صنيع أحسن القيام عليه.[٩]

وبذا يكون سرّ الصناعة هو البحث في الطريقة التي يبيّن بها الصانع ميّزات مصنوعه، أو (هي معرفة الكيفية التي يؤدي بها المطّلع على المهنة الفنية مهنته).[١٠]

المبحث الأول: الحس والعقل في معنى الصناعة

ذكرت الصناعة في موارد كثيرة في القرآن الكريم، وكلّ مورد يبيّن جانباً من جوانب الصناعة حسيا كان أم عقلياً، منها على سبيل المثال قوله تعالى:(**وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا**)[١١]، فالمقام هنا معنوي ليس وحيا للأمر والحكم، بل في مقام العمل وهو تسديد وهداية عملية بتأييده بروح القدس الذي يشير إليه أن افعل كذا وافعل كذا. [١٢]

إذاً فالصناعة هنا اتخذت الجنبة المعنوية، وكذا الحال في قوله تعالى:(وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي)[١٣] فالاصطناع هنا : اتخاذ الصنعة، وهى الخير تسديه

إلى إنسان، والمعنى: اصطنعتك لوحيي ورسالتي لتتصرف قبل على إرادتي.

قال الزجاج : (تأويله اخترتك لإقامة حجتي، وجعلتك بيني وبين خفي، وصرت بالتبليغ عني بالمنزلة التي أكون أنا بها لو خاطبتهم واحتججت عليهم، وقيل : هو تمثيل لما خوله الله سبحانه من الكرامة العظمى بتقريب الملك لبعض خواصه(اذهب أنت وأخوك) أي وليذهب أخوك، وهو كلام مستأنف مسوق لبيان ما هو المقصود من الاصطناع.[١٤]وحاصل المعنى جعلتك من خواصي واصطفيتك برسالتي وبكلامي.[١٥]

ولا تستغنِ الصناعة عن الجان العقلي والإدراكي، إذ يشترط في الصانع إبراز الحجة والبرهان في بيان صنائعه (الصناعة هي ملكة في أمر عملي فكري ، ..والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرّره مرة بعد أخرى، حتى ترسخ صورته وعلى نسبة الأصل تكون الملكة، ونقل المعاينة أوعب وأتم من نقل الخبر، والعلم فالملكة الحاصلة عن الخبر على قدر جودة التعليم وملكة المتعلم في الصناعة وحصول ملكته).[١٦]ثم إن الصنائع منها البسيط ومنها المركب، والبسيط هو الذي يختص بالضروريات والمركب هو الذي يكون للكماليات.[١٧]

في حين ذكر في مورد آخر الجوانب المعنوية للاصطناع ، ومنها قوله تعالى: (وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي)[١٨] والمراد بذلك - واللَّه أعلم - أن تتربى بحيث أرعاك وأراك)[١٩]. وليس أن هاهنا شيئا يغيب عن رؤية اللَّه سبحانه، ولكن هذا الكلام يفيد الاختصاص بشدة الرعاية، وفرط الحفظ والكلاءة. ولما كان الحافظ للشيء في الأغلب يديم مراعاته بعينه ، جاء تعالى باسم العين بدلا من ذكر الحفظ والحراسة ، على طريق المجاز والاستعارة .

أو معناها: (أنت منى بمرأى ومسمع: يريد بذلك أنه متوفر عليه برعايته، ومنصرف إليه بمراعاته).[٢٠]

كونه اصطنعه على عينه وهي كلمة يقال لما يهتمّ به وكأنّه للصنعة الَّتي يختارها من عملت له ويشاهدها بعينه، ولفظ العين مجاز في العلم، وعلى تفيد الحال : أي على علم منه بشرفه وفضيلته ووجه الحكمة فيه ، ونحو قوله تعالى: (وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي)[٢١].[٢٢]

ويرى آخرون أنّ معنى ولِتُصْنَعَ على عَيْني؛ معناه لِتُغَذَّى: (معناه لتُرَبَّى بِمَرْأَى مِنّي، يقال: صَنَعَ فلان جاريته إِذا رَبّاها، وصَنَع فرسه إِذا قام بِعَلَفِه وتَسْمِينه، وقال الليث : صَنع فرسه، بالتخفيف، وصَنَّعَ جاريته، بالتشديد، لأَن تصنيع الجارية لا يكون إِلا بأَشياء كثيرة وعلاج؛ قال الأَزهري : وغير الليث يُجيز صنع جاريته بالخفيف؛ ومنه قوله : ولتصنع على عيني، وتَصَنَّعَتِ المرأَة إِذا صَنَعَتْ نَفْسها) .[٢٣]

وامّا التعبير بالصنع دون التربية : (إشارة إلى أنّ التربية له من جانب فرعون وغيره كانت تربية جسمانيّة، لا روحانيّة)[٢٤].

والمنظور من ارتقاء وجوده ونشوئه وتربيته إنّما هو تهيّؤه وبلوغه إلى مقام يستعدّ ظاهره بأن يكون مأمورا من جانبه ، وأمّا التربية الروحانيّة : فكانت بحول من اللّه وقوّته - على عيني[٢٥].

إذاً فالمرأى والمسمع جانبان حسّيان، قد اشتركت فيهما جوارح الحسّ مثل السمع والبصر، لكن الذي يتربى بمرأى من الناس استلزم ادوات الحسّ، أمّا الذي يتربى بمرأى من الله الله معناه أنّه شمل بالعناية الإلهيّة، وهذه الجنبة حسية معنوية في آن واحد.

كذلك قال تعالى: (وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا).[٢٦]

في الآية جوانب حسية ومعنوية في آن واحد، ففي الوقت الذي أمر به الله تعالى نبيّه بصناعة السفينة بمرأى منه، يعني أنه شمله بالرعاية الإلهية، والتسديد منه تعالى، وفي ذات الوقت فإن هناك جانباً حسيا في رؤية قومه وهو يصنع الفلك وسخريتهم منه، في قوله تعالى: (وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ)[٢٧]

يقول صاحب التفسير الأمثل في تفسير قوله تعالى: (وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا)[٢٨]: (وعبارة " بأعيننا " كان لها وقع عظيم في نفس هذا النبي الكريم(صلّى الله عليه وآله)، فاستقام وواصل عمله حتى المرحلة النهائية دون الالتفات إلى تقريع الأعداء واستهزائهم).[٢٩]

والأعين جمع قلة للعين وإنما جمع للدلالة على كثرة المراقبة وشدتها فإن الجملة كناية عن المراقبة في الصنع.[٣٠]

وذكر الأعين قرينة على أن المراد بالوحي ليس هو هذا الوحي أعني قوله:

(واصنع الفلك) الخ، حتى يكون وحيا للحكم بل وحى في مقام العمل وهو تسديد وهداية عملية بتأييده بروح القدس الذي يشير إليه أن افعل كذا وافعل كذا. [٣١]

اما قوله تعالى : (وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ)[٣٢]وتتخذون مصانع: فإنها تشمل الجانب الحسي فقط.

فقد ذكر الطوسي في تفسيره أنّ المصانع هي: (الحصون المشيدة أمام الناس ويدركونها بحواسهم، وقيل أنها : مآخذ للماء، وهو جمع مصنع، ويقال مصنعة لكل بناء، وقيل : إنهم كانوا يبنون بالمكان المرتفع البناء

العالي، ليدلوا بذلك على أنفسهم، وزيادة قوتهم وليفاخروا بذلك غيرهم من الناس).[٣٣]

وقيل إن المصانع: (جمع مصنع وهو محلّ الصناعة كالمعمل، أو محلّ صنع فيه بناء رفيع أو مخزن للماء أو قصر مخصوص، أو ما صنع قاصدا به إدامة الحياة والعيش)[٣٤].

إذا فالمصانع هنا المكان المحسوس به والمدرَك من خلال الناس، ولا يحتمل جانبا معنويا على الإطلاق.

المبحث الثاني: موارد التلازم في مفهوم الصناعة:

١. تلازمية الصناعة والإخلاص.

ذكرنا في المبحث السابق أنّ الصناعة تستوجب الإحسان والعطف من الصانع على المصنوع، فالذي يسدي معروفاً لشخص ما معناه أنه استخلصه وانتقاه لهذه المنّة والفضل، فهو مُخلَص من قِبَل صانعه. (يقال: صنعه أي أحسن إليه واصطنعه أي حقق إحسانه إليه وثبته فيه، ونقل عن القفال أن معنى الاصطناع أنه يقال : اصطنع فلان فلانا إذا أحسن إليه حتى يضاف إليه فيقال : هذا صنيع فلان وخريجه)[٣٥].

قال تعالى: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا)[٣٦]

والإخلاص من خلص : (وخَلَص الشيء ، بالفتح ، يَخْلُص خُلُوصاً وخَلاصاً إذا كان قد نَشِبَ ثم نَجا وسَلِم، وأَخْلَصه وخَلَّصه وأَخْلَص للَّه دِينَه : أَمْحَضَه، وأَخْلَصَ الشيءَ : اختاره)[٣٧]

والمُخْلَص: (الذي أَخْلَصه اللَّه جعله مُختاراً خالصاً من الدنس ، والمُخْلِص : الذي وحّد اللَّه تعالى خالصاً).[٣٨] أو هو الذي أخلصه الله

لنفسه فلا نصيب لغيره تعالى فيه لا في نفسه ولا في عمله، وهو أعلى مقامات العبودية.[٣٩]

وبذا يكون الاستخلاص طلب خلوص الشيء من شائب الاشتراك كأنه يريد ان يكون خالصا .[٤٠]

واستخلص الشيء لنفسه : أستخصه وأختاره ، وأخلصناهم بخالصة : أخلصناها لهم أي جعلناها لهم خالصة ، وأخلص له المودة : أصفاها إياه ، وأخلص له الحب أو القول : خلصهما من الغش ، وخلص من الورطة خلاصا : سلم منها سلامة الشيء الذي يصفو من كدره.[٤١]

قال تعالى: (إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ)[٤٢]

قال النحاس: (أي إنهم يزهدون في الدنيا، ويرغبون في الآخرة ، وكذا الأنبياء صلى الله عليهم وسلم، أي أنهم يذكرون الآخرة ، ويرغبون فيها ، ويزهدون في الدنيا)[٤٣].

ويقول القمي في معنى الاستخلاص: (إن الله اصطفاهم بذكر الآخرة واختصهم بها).[٤٤]

ويرى الكاشاني أنّ أخلصناهم بمعنى(جعلناهم خالصين لنا(بِخالِصَةٍ) بخصلة خالصة لا شوب فيها . يعني : بسبب هذه الخصلة أخلصناهم، أو أخلصناهم بتوفيقهم لها، واللطف بهم في اختيارها).[٤٥]

ويرى مقاتل أن معنى أخلصناهم: (إن الله اصطفاهم بذكر الآخرة ، واختصهم بها).[٤٦] (وأن معنى خالصة ذكرى الدار معناها النبوّة).[٤٧]

يبدو من خلال ما تقدّم أنّ الإخلاص هو زبدة الشيء وخلاصته النقيّة التي لا شائبة فيها، و أنّ الرابط بين الاستخلاص والصناعة، هو أنّ الذي يُصطفى لموقع الاستخلاص والرحمة والعناية الإلهية، فإن هذه العمليّة برمّتها هي الصناعة، لأن الذي اختير لهذا المنصب هو

المستخلَص من بين بقيّة الخلق لموقع النبوّة، فالصناعة في كيفيّة اختياره لهذا المنصب الإلهي.

قال تعالى: (وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي)[٤٨]

قال الجصّاص في تفسيره للآية: (اصطناعه إياه إلى اخلاصه تعالى إياه لنفسه ويظهر موقع قوله: " لنفسي " أتم ظهور، وأما على المعنى الأول فالأنسب بالنظر إلى السياق أن يكون الاصطناع مضمّناً معنى الاخلاص، والمعنى على أي حال وجعلتك خالصا لنفسي فيما عندك من النعم، فالجميع مني وإحساني ولا يشاركني فيك غيري فأنت لي مخلَصاً).[٤٩]

إذاً فالاصطناع تضمّن معنى الاخلاص، واللطف الإلهي في استخلاص النبي المختار لهذا المنصب، حتى قيل:(إن الاصطناع الإخلاص بالألطاف، ومعنى:(لنفسي) لتصرف على إرادتي ومحبتي .[٥٠]

و قد يكون الاصطناع يشترط فيه الأسبقيّة في الاختيار، فيكون اللطف الإلهي هو الأسبق، (لما قال اصطفيتك لنفسي أورث الاصطناع والاصطفائية، فكنت مصطفى على الناس، لا بسابقة سبقت لك إليّ، بل بسابقة سبقت مني إليك).[٥١]

وهنا لابد من الإشارة إلى مسألة مهمّة، وهي أنّ الاصطناع يتأتى من تكرار النعم الالهية على العبد المستخلَص، كما هو الحال في قصّة النبي موسى(عليه السلام) فقد اسبغ الله عليه النعم منذ كان وليدا الى مراحل عمره المتتالية.

إذ بيّن الله تعالى في سورة طه فصلا آخراً من فصول حياة موسى(عليه السلام)، والذي يرتبط بمرحلة الطفولة ونجاته من قبضة الفراعنة، إذ إنّ شمول عناية الله عزّ ووجل لموسى(عليه السلام) من بداية عمره، فعبّر عنها القرآن الكريم بقوله تعالى: (وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى، إِذْ أَوْحَيْنَا

إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى، أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي، إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ).[٥٢]

تشير الآيات المباركة إلى بداية المنّ الإلهي الذي سبق الاصطناع، إذ كانت البداية بذكر النِعم التي تفضّل الله تعالى بها على موسى (عليه السلام) منذ كونه وليداً، مروراً بقصّة إرضاعه، ومن ثمّ وصوله إلى قصر فرعون، ثم إرجاعه إلى أمّه كي تقرّ عينها ولا تحزن، فمن مجموع هذه الأفضال والنِّعم يتحصّل الاصطناع.

والذي يتبيّن من فحوى القصّة القرآنيّة أنّ الظروف التي عاشها موسى(عليه السلام) لم تكن ظروفاً عاديّة، بل إنّه تعرّض لأشدّ أنواع الترهيب والخوف منذ صغره، واستمرّ هذا الحال إلى أن بُعث نبيّاً.

وكذا حال أمّه وخوفها على ابنها وذهاب اخته الى المرضعات كي يختاروا له مرضعة، كلّ هذه الملابسات كان الفضل لله تعالى في إنقاذ موسى (عليه السلام) من قبضة فرعون وظلمه.

ويتجلّى العطف والرعاية الإلهيّين في صورة قذف موسى(عليه السلام) في التابوت، وبعدها في اليمّ، فإنّ محاولة تخيّل هذا المشهد وحدها كافية لبيان حال أمّه، لكن الاصطناع المتأتي من تكرار النّعم كان ملازماً لموسى(عليه السلام) ومحافظاً عليه.

٢. تلازمية الصناعة والمنّ.

المنّ في اللغة من: (الميم والنون أصلان، أحدهما يدل على قطع وانقطاع، والآخر على اصطناع خير).[٥٣]

ومنّ يمنّ منّاً: (أنعم وأحسن، ومنّ على الأسير : أطلقه، ومنّ الله تعالى على عباده، وهو المنّان، ومنّ عليّ بما صنع ، وامتنّ،[٥٤] والمنّة في الأصل من المنّ، وهو يعني الأحجار الكبيرة التي كانوا يزنون بها، ولذلك فإن كلّ نعمة كبيرة ونفيسة يقال عنها: إنّها منّة).[٥٥]

وقيل: منّ يمنّ منّاً (إذا اعتقد منّه، ومنّ عليه بيد أسداها إليه إذا قرعه بها،[٥٦] والاسم المنّة، والجمع منن، والمنّة : القوّة، والضعف أيضا من الأضداد، ومننت عليه منّا: عددت له ما فعلت له من الصنايع).[٥٧]

يبدو ممّا تقدّم أنّ المنّ جزاء على فعل صنيعة أسداها الله سبحانه إلى من يستحقّه، مثل قوله تعالى: (وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى).[٥٨]

فالآية تبيّن مجموع المنن التي منّ بها الله تعالى على نبيّه موسى(عليه السلام)، إذ شملت رعايته وتسديد خطاه منذ كونه وليداً في التابوت وحراسته بعينه التي لا تنام في اليمّ، ورعايته في دار فرعون، وكفّ أيدي بني إسرائيل عنه في شبابه، ورفده بأخيه هارون عندما بعث لبني إسرائيل لنصحهم وإرشادهم لطريق الله.

يقول الطوسي في التبيان: (والمنّ نعمة يقطع صاحبها بها عن غيره باختصاصها به، يقال: منّ عليه يمنّ منّاً إذا أنعم عليه نعمة).[٥٩]

ولو تدبّنا الآيات السابقة لقوله تعالى (وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي)[٦٠]نجد أنها تتضمّن تذكيراً بالنعم الإلهيّة التي منّ بها الله تعالى على موسى(عليه السلام)، وبعدها ذكر حقّ الاصطناع، وبذلك يكون صاحب المنّ أولى بالاصطناع.

ويعلّل الرازي ذكر تلك النعم بلفظ المنّة، مع أن هذه اللفظة لفظة مؤذية والمقام مقام التلطف؛ (ليعرف موسى (عليه السلام) أن هذه النّعم التي

وصلت إليه ما كان مستحقاً لشيء منها، بل إنما خصّه الله تعالى بها بمحض التفضّل والإحسان).[٦١]

وكذا يكون تكرار المنن متلازم مع حسن الصنائع، وجزاء على تحمّل أعباء المسؤوليّة الملقاة على عاتق موسى(عليه السلام).

يرى صاحب التفسير الوسيط أنّ المراد من المنن المذكورة في قوله تعالى:(ولَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرى) ثمان نِعم بعضها قبل النبوة وهي :

١ - حين ألهمنا أمك لإنقاذك من فرعون أن تضعك في تابوت.

٢ - وألقيت عليك محبة كائنة مني في قلوب العباد ، لا يراك أحد إلا أحبك.

٣ - (ولِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي) ، أي ولتتربى بمرأى مني ، وفي ظل رعايتي.

٤ - واذكر حين خرجت أختك تمشي على الشاطئ ، تسير بسير التابوت ، تتابعه بنظراتها لترى في أي مكان.

٥ - وقتلت نفسا هو القبطي حين استغاث بك الإسرائيلي ، وكان قتلا خطأ.

٦ - ❖ (وفَتَنَّاكَ فُتُوناً) أي اختبرناك مرة بعد مرة .

٧ - فأقمت سنين مع أهل مدين، بأرض العرب، على بعد ثماني مراحل من مصر، عانيت فيها من الفقر والغربة الشيء الكثير، وعشت راعيا لغنم شعيب مدة عشر سنين، كانت مهر امرأتك .

٨ - واخترتك برسالاتي وبكلامي لإقامة حجتي، وجعلتك رسولا بيني وبين خلقي لتبليغ الدي.[٦٢]

يبدو ممّا تقدّم أنّ تكرار هذه المنن ودوامها كفيل بأن يجعل النبي موسى (عليه السلام) في موضع العناية الإلهية، وهو بذلك أهل للاصطناع، حتى قيل: إنّ (المنّ هو إظهار الاصطناع).[٦٣]

أضف إلى ذلك إننا لو تدبّنا مقدار المنّ نجده قد تكرّر في الآية لكن بدلالات أخرى، ومنها قوله تعالى: (..وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا...).[٦٤]

قال الراغب: (أصل الفتن إدخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته، وقوله :(وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً) أي ابتليناك واختبرناك ابتلاء، واختباراً).[٦٥]

وأضاف أيضاً: إنها استعملت في الآية للاختبار، و كذلك جعلت الفتنة كالبلاء في أنّهما تستعملان فيما يدفع إليه الإنسان من شدّة ورخاء وهما في الشدّة أظهر معنى و أكثر استعمالاً.[٦٦]

و يرى ابن خلدون أنّ من تفرّعات الفتنة قوله تعالى: (فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ)[٦٧] متفرّع على الفتنة.[٦٨]

يبدو من خلال ما تقدّم أنّ الفتنة والاختبار في هذا الموضع من صنوف المنّ الإلهي الذي أفاض الله تعالى به على موسى(عليه السلام) في هذه المرحلة، إذ اتضح من خلالها معدن هذا النبي المرسل أمام قومه، وأمام فرعون، وليس أمام الله تعالى؛ لأنّ الله تعالى كان قد اصطفاه واصطنعه لهذه المهمّة منذ كان وليداً، وقد كان بفضل المنّ الإلهي جديراً لمنصب النبوّة.

المبحث الثالث: الفرق بين الصناعة والاصطفاء.

عند التدبّر في كتاب الله نجد أنّ التعبير في معاني اختيار الأنبياء من قِبَل الله تعالى لم يكن على وتيرة واحدة، بل تراوح بين عدّة تعابير منها (اصطفى، اختار، اصطنع، اجتبى)، لذا فإنّ دلالة كلّ من هذه التعابير.

قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آَدَمَ وَنُوحًا وَآَلَ إِبْرَاهِيمَ وَآَلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ).[٦٩] ( )

قال الثعلبي في تفسير الآية:((يعني : إنَّ اللَّه اصطفى هؤلاء الَّذين قالوا بالإسلام، وأنتم على غير دين الإسلام، واصطفى (افتعل) من الصفوة

وهو الخالص من كل شيء، يعني: اختاروا واستخلصوا آدم أبو البشر ونوحاً شيخ المرسلين ، وآل إبراهيم وآل عمران)).[٧٠]

وكذا قيل في تفسير قوله تعالى: (قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ..)[٧١] أي : اختاره ، وهو " افتعل " من الصفوة .[٧٢]

و وروى مسلم في صحيحه: ((إن اللَّه اصطفى كنانة من إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم، ومعنى هذا ان بني هاشم هم صفوة قريش، وان محمداً(ص) هو صفوة الصفوة ، وإذا كانت النبوة لصفوة الصفوة فالولاية، اذن ، للصفوة من بعد الرسول أي للأئمة ، من نسله، أما سرّ الاصطفاء فيمكن في طيب السيرة والسريرة)).[٧٣]

واصطفى اختار افتعل من الصفوة وهي الخالص من كل شيء آدم أبا البشر ونوحا (وآل إبراهيم وآل عمران) قيل أراد بآل إبراهيم وآل عمران إبراهيم عليه السلام وعمران أنفسهما[٧٤]

قيل إنّ: الاصطفاء على وجهين:(أحدهما أنه اصطفاه لنفسه، أي جعله خالصا " له يختص به ، والثاني أنه اصطفاه على غيره ، أي اختصه بالتفضيل على غيره ، وعلى هذا الوجه معنى الآية، وفيها دلالة على تفضيل الأنبياء على الملائكة " ذرية " أي أولادا " وأعقابا " بعضها من بعض " أي في التناصر في الدين، أو في التناسل والتوالد، والأخير هو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام لأنه قال : الذين اصطفاهم الله بعضهم من نسل بعض).[٧٥]

واصطفى أصله اصتفى : وهو افتعل ،من صفا يصفو، انقلبت التاء طاء لمكان الصاد، ومعناه تخيرتك، وخصصتك، ولا تستعمل إلا في الخير والمنن، لا يقال اصطفاه لشرّ.[٧٦]

وقد خُصّ النبي محمد (صلّى الله عليه وآله) بالاصطفاء من بين الأنبياء(عليهم السلام)، فهو المصطفى، والمصطفى : (المختار من الاصطفاء وهو أخذ صفوة الشيء ، كما أنّ المختار من الاختيار وهو أخذ خيرة الشيء وانتجابه واصطفاؤه صلَّى الله عليه وآله من وجهين : أحدهما : من جهة شرف نسبه وطهارة أصله كما قال صلى الله عليه وآله م يزل الله ينقلني من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات لم يدنّسني بدنس الجاهلية).[٧٧]

وقد ذكر الإمام الرضا (عليه السلام) أحقّيّة المصطفين وصفاتهم في حديث طويل:((فسّر الاصطفاء في الظاهر سوى الباطن في اثني عشر موضعاً، فأول ذلك قول الله :" وأنذر عشيرتك الأقربين - ...والآية الثانية في الاصطفاء قول الله : " إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا " ...والآية الثالثة حين ميّز الله الطاهر بن من خلقه مرّ نبيّه في آية الابتهال، في قوله تعالى: تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم فأبرز النبي صلى الله عليه وآله عليا والحسنين وفاطمة عليهم السلام فقرن أنفسهم بنفسه، وأما الرابعة : " إن هذا المسجد لا يحل لجنب ولا لحائض إلا لمحمد وآل محمد " . فقالت العلماء : هذا، وأما الخامسة فقول الله عز وجل : " وآت ذا القربى حقه " خصوصية خصهم الله العزيز الجبار بها واصطفاهم على الأمة . فلما نزلت هذه الآية على رسول الله وأما السادسة : فقول الله عز وجل : " قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى " فهذه خصوصية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم دون الأنبياء وخصوصية للآل دون غيرهم و وأما السابعة فيقول الله : " إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً.....).[٧٨]

يبدو من خلال التدبّر في هذه الرواية أنّ أحقّية الاصطفاء تكمن في مواطن الاختيار الإلهي لمهمّات السماء، وذلك من خلال تفسير الآيات وأسباب النزول وظروف الآيات وبيئة النصّ، فمن خلال الإحاطة بكلّ هذه الأمور يتبيّن مغزى الاصطفاء وعلّته.

والحقّ أنّ الذي يُصطفى من الخلق يجب أن يكون في مقام عالٍ يتنزّه عن مقامات الناس العاديّين، وقد يكون من الخِيَرة الذين خصّهم الله تعالى بالعصمة، ومنهم الأنبياء والأوصياء(عليهم السلام)،(وقيل : إنّ آل إبراهيم هم آل محمّد صلَّى اللَّه عليه وآله وسلَّم، الَّذين هم أهل بيته، ومن اصطفاه اللَّه تعالى واختاره من خلقه، لا يكون إلَّا معصوما مطهّرا عن القبائح . وعلى هذا ، فيجب أن يكون الاصطفاء مخصوصا بمن كان معصوما من آل إبراهيم، نبيّا كان أو إماماً).[٧٩]

أمّا مريم (عليها السلام)، فقد تميّزت بتكرار الاصطفاء، إذ إنّها مرّت بطريق الاصطفاء مرّتين، في قوله تعالى:(وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ).[٨٠]

فقد ذكر المفسّرون أنّ المراد من الاصطفاء الأوّل في الآية : (هو تفريغها للعبادة والخدمة في الهيكل، بعد استثنائها من الحظر المفروض على النساء في هذا الشأن، وذلك استجابة لنذر أُمّها بتحرير حملها للعبادة المحكي في قوله تعالى : (رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ).[٨١]

والاصطفاء الثاني: هو اختيارها لولادة عيسى(عليه السلام) الإعجازية، فالاصطفاء الأوّل: هو استجابة لدعاء وعونٌ على التقوى لإعدادها لموضوع الاصطفاء الثاني، وهو الحمل الإعجازي[٨٢].

وقال الطبرسي: (يا مريم إن الله اصطفاك) أي : اختارك وألطف لك، حتى تفرغ لعبادته، واتباع مرضاته، وقيل : معناه اصطفاك لولادة المسيح)[٨٣]

ويرى العياشي أنّ علّة اصطفائها مرتين والاصطفاء إنما هو مرة واحدة، قائلاً :(يعنى اصطفاها إياها أولا من ذرية الأنبياء المصطفين المرسلين، وطهّرها من أن يكون في ولادتها من آبائها وأمهاتها سفاحاً، واصطفاها بهذا في القرآن(يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ).[٨٥٨٤]

وقال القمي: (اصطفاها مرتين، اما الأولى اصطفاها اي اختارها واما الثانية فإنها حملت من غير فحل فاصطفاها بذلك على نساء العالمين).[٨٦]

إذن فإنّ السيّدة مريم لا تتميّز عن سائر النساء في سائر حالاتها وشؤونها الإنسانية، فالمرأة بحسب إنسانيّتها وخلقتها الأصليّة قابلة لتولّي المهام في الحياة العامة كالرجل، فهي كاملة وليست ناقصة ومتدنية عن الرجال في الأعمال العامة إذا سنحت لها الفرصة والتربية والتمرين على ذلك.

إذن سيكون معنى الاصطفاء هو الاختيار للمهمة والمعونة عليها، ولكنّ الأمر في انجاز المهمة متروك لإرادة الإنسان واختياره، فلا يكون الاصطفاء بمعنى التغيير في حالات النساء والشؤون الإنسانية .[٨٧]

ولا يخفى على المتدبّر مدى العلاقة بين الاصطفاء والوراثة، إذ إنّهما متلازمتان، كما في قوله تعالى: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ...)[٨٨]

فقد سئل أبو جعفر الباقر(عليه السلام) عن تفسير الآية قال:((السابق بالخيرات الامام، والمقتصد : العارف للإمام، والظالم لنفسه: الّذي لا يعرف الامام))[٨٩].

والحقّ إنّ الوراثة الفعلية بعد الأنبياء(عليهم السلام) لأهل البيت(عليهم السلام)، ويظهر ذلك من جواب الإمام الرضا (عليه السلام) عندما سأله المأمون عن معنى الآية، فقالت العلماء : أراد الله الأمة كلها، فقال المأمون : ما تقول يا أبا الحسن؟ فقال الرضا(عليه السلام):((لا أقول كما قالوا ولكن أقول: أراد الله تبارك وتعالى بذلك العترة الطاهرة (عليهم السلام)، فقال المأمون : وكيف عنى العترة دون الأمة؟ فقال الرضا (عليه السلام): لو أراد الأمة لكانت بأجمعها في الجنة، لقول الله : فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير. ثم جعلهم كلهم في الجنة، فقال عز وجل" جنات عدن يدخلونها فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم)).[٩٠]

إن الوارث قائم مقام المورث فله حكمه فيما قام مقامه فيه (قوله ورثوا) بتشديد الراء المفتوة أي الأنبياء ويروى بتخفيفها مع الكسر أي العلماء ويؤيد الأول ما عند الترمذي وغيره فيه وان الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، وانما ورثوا العلم)[٩١]

ويقول ابن شهر آشوب: (الظاهر يقتضي أن يكون الذين اصطفاهم ورّاثاً عن الرسول الكتاب وأحكامه ومن جملة ما كان يتعاطاه القيام بأمور المسلمين فيجب أن يرث منه من صفته ما بينه تعالى دون أمر آخر لتنعقد الوراثة ولا يقول إن المقام يورث ولا يزيد بالوراثة هاهنا إلا التمليك على أموره الدينية من الله).[٩٢]

إذاً فالمصطفون أحقّ بالوراثة من غيرهم، وهذا ما يحكم به العقل والمنطق والقرآن.

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ (٥٣) [٩٣]

الاصطفاء والاختيار والاجتباء والصناعة دراسة مقارنة.

الاصطفاء والاختيار والاجتباء نظائر، واصطفى افتعل من الصفوة، وهذا من أحسن البيان الذي يمثل به المعلوم بالمرئي، وذلك أن الصافي هو النقي من شائب الكدر فيما يشاهد، فمثل الله تعالى خلوص هؤلاء القوم من الفساد بخلوص الصافي من شائب الأدناس.

الاجتباء: افتعال من الجباية، ونظيره الاصطفاء : وهو استخلاص الشيء للنفس . قال علي بن عيسى : أصله الاستخراج ، ومنه الجباية : الخراج . وقيل : أصله الجمع من جبيت الماء في الحوض ، والحوض جابية لجمعها الماء . قال الفراء : اجتبيت الكلام ، واختلقته ، وارتجلته : إذا افتعلته من قبل نفسك .[٩٤]

وقد جاء الاجتباء في القرآن الكريم في ثلاثة مواقف :

الأول: لآدم(عليه السلام) عندما شملته الرحمة الإلهية بعدما أخطأ ثمّ تاب الله تعالى عليه، فكان المنّ الإلهي بأن اجتباه وتاب عليه، ثمّ هداه(ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى).[٩٥]

والثاني: لإبراهيم (عليه السلام) إذ قال تعالى: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ).[٩٦]

كان الاجتباء جزاءً لإبراهيم (عليه السلام)، وإحساناً منه تعالى لإبراهيم على إيمانه الحقيقي، وحنفيّته، لذا نجد أن طريقة الاختيار اختلفت عن بقيّة الأنبياء، فهو المجتبى من الله تعالى.

الثالث: كان ليونس (عليه السلام) الذي اجتباه ربّه بعد أن ابتلعه الحوت، فجاءت الرحمة الإلهية بأن نجّاه من بطن الحوت فاجتباه ربّه وجعله من الصالحين.(فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ).[٩٧]

يبدو ممّا تقدّم أنّ الاجتباء يأتي بعد الخروج من الشدائد، فهي حبل النجاة من الله تعالى إلى نبيّه المجتبى، كنجاة آدم(عليه السلام) من وساوس الشيطان، ونجاة إبراهيم(عليه السلام) من نيران أعدائه، ونجاة يونس(عليه السلام) من بطن الحوت، وبذلك يكون الاجتباء مختلفاً عن الاصطفاء من هذا الوجه، والوجه الآخر أنّ الاجتباء يكون مصحوباً بالهداية فيما بعد، قال تعالى: (وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ).[٩٨]

والقصد من ذلك زيادة اطمئنان قلبه بأنه في مقام الاصطفاء ، وأن الكلام الذي سمعه كلام من قبل الله بدون واسطة متكلّم معتاد ولا في صورة المعتاد ، كما دلّ عليه قوله بعد ذلك { لنريك من آياتنا الكبرى }.[٩٩]

ولا يختلف الاختيار عن معنى الاصطفاء إلّا في الدلالة، إذ إنّ دلالة الاصطفاء اختيار مع توفّر شروط معيّنة، والاختيار من: (خار يخير خيراً فهو خيّر، وخيّرة فتخيّر واختار واستخار، فكلّها من الأصل، واختلاف المعاني انّما يحصل باختلاف الصيغ والهيئات).[١٠٠]

وقيل المراد بالاختيار(الانتخاب مع توجّه ورغبة وقصد وكون المنتخب ذا فضيلة، فتدل الهيئة على الرغبة).[١٠١]

كقوله تعالى:(وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى)،[١٠٢]إذ جاء الاختيار دالاً على أن هذه النبي قد اصطنعه الله تعالى واختاره لموقع النبوّة واصطفا ، وأوحى الله إليه وجعله نبياً.

هذا إجابة من الله لرسوله موسى (عليه السلام) فيما سأل من ربه عز وجل وتذكير له بنعمه السالفة عليه فيما كان من أمر أمه حين كانت ترضعه وتحذر عليه من فرعون وملئه أن يقتلوه لأنه كان قد ولد في السنة

التي يقتلون فيها الغلمان فاتخذت له تابوتا فكانت ترضعه ثم تضعه فيه وترسله في البحر وهو النيل).[١٠٣]

ويرى الطباطبائي أنّ الاختيار مأخوذ من الخير، وحقيقته أن يتردد أمر الفاعل مثلاً بين أفعال يجب أن يرجح واحداً منها ليفعله، فيميز ما هو خيرها، ثم يبني على كونه خيراً من غيره فيفعله، فبناؤه على كونه خيراً من غيره هو اختيا،ر فالاختيار دائماً لغاية هو غرض الفاعل من فعله).[١٠٤]

إذاً فاختياره تعالى لموسى(عليه السلام) إنما هو لغاية الهية وهي النبوة، فقد اقتضت مشيئته تعالى أن يكون عبء الرسالة الإلهيّة على عاتق موسى (عليه السلام)، لأنّه خير من غيره، وأصلح لهذا الغرض فتمّ اختياره.

الخاتمة ونتائج البحث:

الحمد لله والحمد حقّه وكما يستحقّه حمداً كثيراً، وصلّى الله على رسوله المصطفى والمبعوث رحمة للعالمين وعللى آله الطيبين الطاهرين وبعد...

فإنّ من عظيم نِعمه أن أكون المصطفاة في كتابة هذا البحث الموسوم(سرّ الصناعة في اصطفاء موسى (عليه السلام)) والذي حمل بين طيّته أسرار صناعة الانبياء والرسل ولا سيما النبيّ موسى (عليع السلام)، إذ لا يخلو الأمر من وجود سرّ في استعمال كلمة(صناعة) في موضع و(اصطفاء) في موضع آخر بحسب ما يقتضيه الحال والسياق، وقد تمخّض البحث عن النتائج الآتية:

١. إن الصناعة الإلهية هي الرعاية والعناية والدقّة والإتقان، مع وجود المصنوع في حضرة الصانع وشموله برعايته وعطفه وإكرامه .

٢. إنّ الذي يُصطفى من الخلق يجب أن يكون في مقام عالٍ يتنزّه عن مقامات الناس العاديّين، وقد يكون من الخِيَرة الذين خصّهم الله تعالى بالعصمة، ومنهم الأنبياء والأوصياء(عليهم السلام).

٣. إنّ الصناعة تستلزم الإخلاص، والإخلاص هو زبدة الشيء وخلاصته النقيّة التي لا شائبة فيها، وأنّ الرابط بين الاستخلاص والصناعة، هو أنّ الذي يُصطفى لموقع الاستخلاص والرحمة والعناية الإلهية، فإن هذه العمليّة برمّتها هي الصناعة، لأن الذي اختير لهذا المنصب هو المستخلَص من بين بقيّة الخلق لموقع النبوّة، فالصناعة في كيفيّة اختياره لهذا المنصب الإلهي.

٤. إنّ الاصطناع يتأتى من تكرار النعم الالهية على العبد المستخلَص، كما هو الحال في قصّة النبي موسى(عليه السلام) فقد اسبغ الله عليه النعم منذ كان وليدا الى مراحل عمره المتتالية.

٥. إنّ أحقّية الاصطفاء تكمن في مواطن الاختيار الإلهي لمهمّات السماء، وذلك من خلال تفسير الآيات وأسباب النزول وظروف الآيات وبيئة النصّ، فمن خلال الإحاطة بكلّ هذه الأمور يتبيّن مغزى الاصطفاء وعلّته.

٦. المصطفون أحقّ بالوراثة من غيرهم، وهذا ما يحكم به العقل والمنطق والقرآن.

٧. إنّ تكرار المنن ودوامها كفيل بأن يجعل النبي موسى (عليه السلام) في موضع العناية الإلهية، وهو بذلك أهل للاصطناع.

٨. إنّ الاجتباء يأتي بعد الخروج من الشدائد، فهي حبل النجاة من الله تعالى إلى نبيّه المجتبى، كنجاة آدم(عليه السلام) من وساوس الشيطان، وبذلك يكون الاجتباء مختلفاً عن الاصطفاء من هذا الوجه، والوجه الآخر أنّ الاجتباء يكون مصحوباً بالهداية فيما بعد.

الهوامش:

[1] ابن منظور: لسان العرب:٣٥٧/٤

[2] مركز المعجم الفقهي: المصطلحات: ١٣٥٤

[3] الفراهيدي: الخليل بن احمد: العين: ٣٠٥/١

[4] ابن منظور: لسان العرب: ٢٠٩/٨

[5] المصدر نفسه: ٢٠٩/٨

[6] الجواد الكاظمي: مسالك الافهام في آيات الاحكام: ٦٩/٣

[7] ظ: الأصفهاني: الراغب: المفردات في غريب القرآن: ٢٨٧

[8] النمل:٨٨

[9] ظ: الأصفهاني: الراغب: المفردات في غريب القرآن: ٢٨٧، ظ: فخر الدين الطريحي: مجمع البحرين: ٣٦٠/٤

[10] حارث سليمان الفاروقي: المعجم القانوني: ٤٠٣/٢

[11] هود:٣٧

[12] الطباطبائي: محمد حسين: الميزان في تفسير القرآن: ٢٢٣/١٠

[13] طه:٤١

[14] الشوكاني: فتح القدير:٣٦٦/٣

[15] الالوسي: تفسير الالوسي:١٩٣/١٦

[16] ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون: ٤٠٠/١

[17] المصدر نفسه: ٤٠٠/١

[18] طه:٣٤

[19] الشريف الرضي: تلخيص البيان في مجازات القران: ٢٢٥

[20] المصدر نفسه: ٢٢٥

[21] طه:٣٤

[22] ابن ميثم البحراني: شرح نهج البلاغة:٤٥٢/٣

[23] ابن منظور: لسان العرب: ٢١١/٨

[24] حسن المصطفوي: التحقيق في كلمات القرآن الكريم:٢٨٦/٦

[25] ظ: المصدر نفسه: ٢٨٦/٦

[26] طه:٣٩

[27] هود:٣٨

[28] هود:٣٧

[29] ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٤٤٦/١

[30] الطباطبائي: محمد حسين: الميزان في تفسير القرآن: ٢٢٣/١٠

[31] المصدر نفسه: ٢٢٣/١٠

[32] الشعراء:١٢٩

[33] الطوسي: التبيان في تفسير القرآن:٤٥/٨، ظ: الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٣٤٢/٧

[34] حسن المصطفوي: التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ٢٨٦/٦

[35] الطباطبائي: محمد حسين: الميزان في تفسير القران: ١٥٣/١٤

[36] مريم:٥١

[37] ابن منظور: لسان العرب: ٢٦/٧

[38] المصدر نفسه: ٢٦/٧

[39] الطباطبائي: محمد حسين: الميزان في تفسير القرآن: ٦٣/١٤

[40] ظ: محمد الصالحي الانديمشكي: القرآن وفضائل أهل البيت(ع):٢٤٢

[41] ظ: موسى بن محمد الملياني الأحمدي: معجم الأفعال المتعدية بحرف: ٨٧

[42] ص:٤٦

[43] النحاس: أبو جعفر: معاني القرآن: ١٢٣/٦

[44] القمي: علي بن ابراهيم: تفسير القمي: ٢٤٢/٢

[45] الكاشاني: فتح الله: زبدة التفاسير: ٣٨/٦

[46] البحراني: هاشم: البرهان في تفسير القرآن: ٦٧٩/٤

[47] مقاتل بن سليمان: تفسير مقاتل: ١٤٥/٢

[48] طه:٤١

[49] الطباطبائي: الميزان في تفسير القران: ١٥٣/١٤

[٥٠] الجصاص: احكام القران: ٢٩٠/٣
[٥١] السلمي: تفسير السلمي: ٢٤٣/١
[٥٢] طه:٣٧-٣٩
[٥٣] ابن فارس: أحمد: معجم مقاييس اللغة: ٢٦٧/٥
[٥٤] موسى بن محمد الملياني: معجم الأفعال المتعدية بحرف: ٣٥٦
[٥٥] ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل في كتاب الله المنزل: ٥٥٥/٩
[٥٦] الطوسي: التبيان في تفسير القرآن: ٢٥٩/١
[٥٧] حسن المصطفوي: التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ١٨١/١١
[٥٨] طه:٣٧
[٥٩] الطوسي: التبيان في تفسير القرآن: ١٧٣/٧
[٦٠] طه:٤١
[٦١] الرازي: فخر الدين: تفسير الرازي: ٥١/٢٢
[٦٢] الزحيلي: وهبة: التفسير الوسيط: ١٥٢١/٢
[٦٣] الرازي: فخر الدين: تفسير الرازي: ٤٩/٧
[٦٤] طه:٤
[٦٥] الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن: ٣٧١
[٦٦] ظ: المصدر نفسه: ٣٧١
[٦٧] طه:٤٠
[٦٨] ظ: ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون: ١٦٤/١
[٦٩] آل عمران:٣٣
[٧٠] الثعلبي: الكشف والبيان عن تفسير القران: ٥٢/٣
[٧١] البقرة:١٤٨
[٧٢] ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير: ٢٥٧/١
[٧٣] محمد جواد مغنية: في ظلال نهج البلاغة: ٣٢٣/٢
[٧٤] البغوي: معالم التنزيل في تفسير القران:٢٩٤/١
[٧٥] الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القران: ٢/

[٧٦] الاندلسي: ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:٤٥٢/٢

[٧٧] علي خان المدني الشيرازي: رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين (ع): ٣٥٩

[٧٨] الحراني: ابن شعبة: تحف العقول عن آل الرسول (ص):٤٢٨، ظ:عزيز الله عطاردي: مسند الإمام الرضا (ع): ١٢١/٢.

[٧٩] فتح الله الكاشاني: زبدة التفاسير:٤٧٥/١

[٨٠] آل عمران:٤٢

[٨١] آل عمران: ٣٥

[٨٢] حسن الجواهري: : بحوث في الفقه المعاصر: ٢٧٥/٦

[٨٣] الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٢٩٠/٢

[٨٤] آل عمران: ٤٣

[٨٥] العياشي: محمد بن مسعود: تفسير العياشي: ١٧٣/١

[٨٦٨٦] القمي: علي بن ابراهيم: تفسير القمي: ١٠٢/١

[٨٧] حسن الجواهري: بحوث في الفقه المعاصر: ٢٧٧/٦

[٨٨] فاطر:٣٢

[٨٩] المازندراني: محمد صالح: شرح أصول الكافي: ٢٨١/٥

[٩٠] الحرّاني: ابن شعبة: تحف العقول عن آل الرسول(ص): ٤٢٦

[٩١] العسقلاني: ابن حجر: فتح الباري: ١٤٧/١

[٩٢] ابن شهر اشوب: متشابه القران ومختلفه: ٥٠/٢

[٩٣] غافر:

[٩٤] الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن٤:٤١٦/٢٢

[٩٥] طه:١٢٢

[٩٦] النحل: ١٢٠-١٢١

[٩٧] القلم: ٥٠

[٩٨] الأنعام:٨٧

[99] ابن كثير: تفسير ابن كثير:

[100] الزمخشري: جار الله محمود: الفايق في غريب الحديث: ٢٦٣/٢

[101] حسن المصطفوي: التحقيق في كلمات القران الكريم:١٥٩/٣

[102] طه:١٣

[103] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: ١٥٥/٣

[104] الطباطبائي: محمد حسين: ١٣٩/١٤الميزان في تفسير القرآن:

المصادر

خير ما نبتدئ به القرآن الكريم

١. ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة: حققه: عبد السلام محمد هارون، الرئيس قسم الدراسات النحوية بكلية دار العلوم سابقا، مركز النشر - مكتب الاعلام الاسلامي.

٢. ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، نشر أدب الحوزة، قم – إيران، ١٤٠٥ ه ١٣٦٣ ق.

٣. الاصفهاني: الراغب(ت: ٤٢٥هـ)،مفردات الفاظ غريب القران، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، الطبعة الأولى: بيروت، ١٩٩٦م.

٤. الطبرسي: أبو علي الفضل بن الحسن ، مجمع البيان في تفسير القران، حققه وعلق عليه: للمطبوعات، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥ ه - ١٩٩٥ م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

٥. الاندلسي: أبو عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الجياني، البحر المحيط، الطبعة الأولى.

٦. الرازي: فخر الدين المتوفى:٦٠٦هـ، : تفسير الرازي، التفسير الكبير، الطبعة الثالثة.

٧. الزبيدي: محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي ، تاج العروس من جواهر القاموس، دراسة وتحقيق : علي شيري دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ.
٨. الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، دار أحياء الكتب العربية.
٩. الطباطبائي: محمد حسين، الميزان في تفسير القران، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، في قم المقدسة.
١٠. الطبرسي: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، قدس سره، من أعلام القرن السادس الهجري، جوامع الجامع، تحقيق: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الأولى.
١١. الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قصير العاملي الناشر : مكتب الاعلام الاسلامي، الطبعة : الأولى ١٢٠٩ هـ . ق.
١٢. العاملي: الحر محمد بن الحسن الحر العاملي، المتوفى سنة ١١٠٤ هـ ، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.
١٣. الفراهيدي: الخليل أبو عبد الرحمن بن أحمد ١٧٥ هـ ، كتاب العين، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، الطبعة : الثانية في إيران١٤٠٩ هـ .
١٤. الفيروزابادي: مرتضى الحسيني اليزدي القاموس المحيط، شرح ديباجتها نصر الهوريني.
١٥. الفيروزابادي: مرتضى الحسيني اليزدي: عناية الاصول في شرح كفاية الاصول.
١٦. القمي: تفسير القمي: أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي (رحمه الله) ، صححه وعلق عليه وقدم له: حجة الاسلام العلامة: السيد طيب الموسوي الجزائري، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم – إيران.

١٧. الكاشاني: المتوفى سنة ١٠٩١ هـ، تفسير الصافي، صححه وقدم له وعلق عليه العلامة الشيخ حسين الأعلمي، منشورات، مكتبه الصدر طهران .
١٨. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الطبعة الثانية المصححة/ ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، مؤسسة الوفاء - بيروت – لبنان.
١٩. محمود عبد الرحمن عبد المنعم ، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، القاهرة .
٢٠. ابن الجوزي: ابو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ، زاد المسير في علم التفسير، ، دار الفكر، الطبعة الأولى، جمادى الأولى ١٤٠٧ هـ - كانون الثاني ١٩٨٧ م.
٢١. الشيرازي: ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، طبعة جديدة منقحة مع إضافات.
٢٢. العاملي: الحر محمد بن الحسن الحر العاملي، المتوفى سنة ١١٠٤ هـ ، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.
٢٣. العسكري: ابو هلال .(ت:٣٩٥ه).معجم الفروق اللغوية الحاوي لكتاب أبي هلال العسكري وجزء من كتاب السيد نور الدين الجزائري، تح: مؤسسة النشر الاسلامي، ط١.شوال المكرم ١٤١٢.
٢٤. ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة: حققه: عبد السلام محمد هارون، الرئيس قسم الدراسات النحوية بكلية دار العلوم سابقا، مركز النشر - مكتب الاعلام الاسلامي.
٢٥. المصطفوي: حسن: التحقيق في كلمات القرآن، الطبعة الأولى : ١٤١٧ هـ .
٢٦. الطريحي: فخر الدين: محمد بن علي بن احمد(ت: ١٠٨٥ه)، مجمع البحرين، تح: السيد احمد الحسيني.
٢٧. الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر : مختار الصحاح، ضبطه وصححه احمد شمس الدين، جميع الحقوق محفوظة لدار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى- ١٩٩٤ م ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

٢٨. الشريف الرضي: تلخيص البيان في مجازات القرآن، حققه وقدم له وصنع فهارسه، محمد عبد الغني حسن، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة – ١٩٥٥، الطبعة الأولى.
٢٩. الشوكاني: محمد بن علي بن محمد (ت: ١٢٥٠ه) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير.
٣٠. الماحوزي: البحراني: سلمان بن عبد الله، الأربعون حديثا في إثبات إمامة أمير المؤمنين (عليه السلام)، تحقيق: مهدي الرجائي، الطبعة : الأولى.
٣١. الكاشاني: فتح الله (ت:٩٨٨ه. ق)، زبدة التفاسير، تحقيق ونشر مؤسسة المعارف الإسلامية.
٣٢. الملياني الأحمدي: موسى بن محمد بن نويوات:معجم الأفعال المتعدية بحرف، الطبعة: الأولى.
٣٣. الآلوسي: السيد محمود البغدادي(ت:١٢٧٠ه)، روح المعاني في تفسير القران الكريم والسبع المثاني، تح: محمد احمد الآمد، وعمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت _لبنان، ط١/٢٠٠٠م.
٣٤. الثعالبي: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبو زيد الثعالبي المكي:(ت:٨٧٥ه). الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي)، تح: علي معوض، عادل عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي،١٤١٨ – ١٩٩٧، ط١.
٣٥. ابن كثير: الإمام الحافظ عماد الدين، أبو الفداء إسماعيل، القرشي الدمشقي (ت:٧٧٤ه)، ت فسير القرآن العظيم، قدم له الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي، أستاذ التفسير بالمعهد العالي للدراسات الاسلامية، دار المعرفة، بيروت – لبنان.
٣٦. المازندراني: محمد صالح، شرح أصول الكافي المعروف كتاب الكافي في الأصول والروضة لثقة الإسلام أبى جعفر محمد بن يعقوب الكليني مع شرح الكافي الجامع للمولى محمد صالح المازندراني، المتوفى ١٠٨١ هـ، دار احياء التراث العربي، بيروت _ لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ _ ٢٠٠٠ م .

٣٧. السّدي عليّ خان الحسيني الحسني المدني الشيرازي، : رياض السّالكين في شرح صحيفة سيّد الساجدين (عليه السّلام)، مؤسسة النشر الإسلامي، التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
٣٨. الجواد الكاظمي: مسالك الأفهام إلى آيات الأحكام، علق عليه وأخرج أحاديثه، الشيخ محمد باقر شريف زاده مد ظله، أشرف على تصحيحه السيد محمد تقي الكشفي، عنيت بنشره المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية.
٣٩. البحراني: كمال الدين بن علي بن ميثم، (ت: ٦٧٩ه) شرح نهج البلاغة، عنى بتصحيحه عدّة من الأفاضل. ، مركز انتشارات دفتر تبليغات اسلامي حوزه علميه قم.
٤٠. النحاس: أبو جعفر(ت: ٣٣٨ه)، معاني القرآن الكريم، تحقيق: الشيخ محمد علي الصابوني، الأستاذ بجامعة أم القرى، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
٤١. العياشي: أبو النظر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي ، كتاب التفسير، وقف على تصحيحه وتحقيقه والتعليق عليه الفاضل المتتبع الورع، الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي، تصدى لطبعه ونشره، السيد الجليل الحاج السيد محمود الكتابچي وأولاده، طهران.
٤٢. العسقلاني: شهاب الدين، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، للطباعة والنشر بيروت – لبنان، الطبعة الثانية.
٤٣. الجصاص: أبو بكر أحمد بن علي الرازي(ت: ٣٧٠ ه)، أحكام القرآن، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، الطبعة الأولى، ١٤١٥ - ١٩٩٤ م ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.
٤٤. الانديمشكي: محمد الصالحي: القرآن وفضائل أهل البيت عليهم السلام، الناشر : ذوي القربى، الطبعة : الأولى، تاريخ الطبع : ذي القعدة – ١٤٢٥.
٤٥. .الزمخشري: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي (ت:٥٣٨ه)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الطبعة الأخيرة ١٩٦٦.

٤٦. البغوي: الحسين بن مسعود (ت:٥١٠ه).، معالم التنزيل في تفسير القران: (ط. دار طيبة)، تح: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة،١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
٤٧. ابن شهر اشوب: مشير الدين أبي عبد الله محمد بن علي ابن أبي نصر بن أبي حبيشي السروي المازندراني(ت:٥٨٨ه).
٤٨. البحراني: هاشم الحسيني: البرهان في تفسير القرآنالسيد هاشم الحسيني البحراني(ت: ١١٠٧ ه) تحقيق: قسم الدراسات الاسلامية، مؤسسة البعثة – قم.
٤٩. مغنية: محمد جواد، في ضلال نهج البلاغة ، الطبعة الأولى / ١٤٢٧ هـ . ق.
٥٠. ابن خلدون: مقدمة العلامة ابن خلدون، الطبعة الرابعة، دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان.
٥١. الزحيلي : وهبة، التفسير الوسيط،- دمشق : دار الفكر ، ٢٠٠٠م.
٥٢. العطاردي: الخبوشاري، مسند الإمام الرضا(عليه السلام) الناشر : المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام، الطبع : مؤسسة طبع ونشر آستان ، ربيع الاخر ١٤٠٦ هـ.
٥٣. الحراني: ابن شعبة: أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين ، من أعلام القرن الرابع ، تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليهم) عنى بتصحيحه والتعليق عليه علي أكبر الغفاري، الطبعة الثانية ١٣٦٣ - ش ١٤٠٤ – ق، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة (إيران).
٥٤. الجواهري: حسن، بحوث في الفقه المعاصر،دار الذخائر، بيروت – لبنان، ط الأولى.
٥٥. المازندراني: ابن شهر اشوب: محمد بن علي، متشابه القران ومختلفه،١٣٢٨ه.ق.